بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة النبوية .. دروس وعبر

أحْمَدُك رَبِّي عَلَى ما أكملت لَنا من دينٍ، وأتممت علينا من نعمة، ورضيت لنا من إسلام وأصلي وأسلم على خير خلقك محمد رحمتك للعالمين.

وبعد:

فما أحسن أن نحيي مناسبات الإسلام الضخمة، ولكن الأحسن من هذا ألا نحيي المناسبة فقط في فترة من نهار أو فترة من ليل ولكن الأحسن أن نحيا نحن هذه المناسبة.

نحياها في كل ما آتت من ثمار. نحياها أسوة ونحياها قدوة، ونحياها عبرة لا تغيب.

ولكن المسلمين الآن اكتفوا للإسلام بأن يحيوا مناسباته، وكأن الإسلام في حاجة إلى أن يعيش بهم، والناس ليسوا في حاجة إلى أن يعيشوا بالإسلام!!

ما أغنى الإسلام في أن يحيا بنا، ولكن ما أحوجنا نحن إلى أن نحيا بالإسلام؟

نحن في العالم الإسلامي نحسن استقبال المناسبة، ولكننا لا نحسن معايشة المناسبة.

ولكنا نقول: حسبنا الآن أن نعيش الإسلام كما قلت تحقيقاً إلى أن ييسر لنا الله أن نعيشه تطبيقاً.

وإذا كانت الهجرة حدثاً ضخماً من أحداث الإسلام؛ فيجب أن نَلْحظ أن تاريخها لم يبدأ حيث بدأت حدثاً، ولكنها نشأت مع البعثة نفسها لأن رسول الله ﷺ حينما ذهبت به زوجه خديجة رضي الله تعالى عنها إلى ورقة فقصّ عليه ما يراه من خبر الوحي.

قال له: لتقاتلن ولتخرجن.

قال: «أو مخرجي هم»؟.

قال: ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مظفراً.

فكأن الرسول ﷺ قد استقبل خبر الهجرة في الوقت الذي استقبل فيه تصديق أنه مبعوث.

إذن.. فالهجرة نشأت مع البعثة. وكأن هذا القرن أراد به الحق سبحانه وتعالى أن يعلمنا أن البعثة بدأت إطلاق دعوة في مكة في أذن سادات الجزيرة ولكنها انطلقت من المدينة، فكان ولا بد أن يلتقي الإطلاق بالانطلاق.

وإذا ما نظرنا إلى الحدث في ذاته؛ وجدنا أن كل حدث يحتاج إلى زمان وإلى مكان، ولذلك نقول: كل حَدَثٍ له ظرف، والظرف: إما مكاني وإما زماني، والظرف المكاني ظرف كما يقولون: ظرف قار، أي ثابت لا يتغير. ولكن الظرف الزماني: ظرف متغير، فيكون مستقبلاً، ثم يكون حالاً، ثم يكون ماضياً.

حين يُرَادُ التاريخ، إنما يراد بالتاريخ ربط الأحداث بأزمانها.

ثم يأتي المكان بعد ذلك ظرفاً تابعاً للزمان. ولذلك كان التاريخ دائماً بالأحداث التي تنشأ في الزمن، لا بالمكان الذي ينشأ فيه الحَدَث.

وقديماً عُرِفَ التاريخ بالأحداث والمناسبات. فكانوا يؤرخون بسَيْل العرم، وكانوا يؤرخون بعام الفيل.

ولكن حَدَث الهجرة. ذلك الحدث الضخم. أُرِّخَ به، ولم يُؤَرَّخ بعام البعثة؛ لأن الهجرة إنما كانت كما قلنا انطلاقاً للدعوة؛ لأنها أصبحت من دار إيمان لا من دار أمن فقط.

والتاريخ حين نُريد أن نبدأه لا بد أن يربط بفلك ثابت مستقر. فيجب أن نعلم إننا حين نستقبل «المُحَرَّم» لا نستقبل اليوم الذي حدثت فيه الهجرة؛ لأن الهجرة حدثت في أواخر «صفر» وأوائل «ربيع».

فإذا كان ولا بد أن نؤرخ للحدث كان من الواجب أن نؤرخ الاحتفاء بحدث الهجرة كحدث إلى آخر «صفر» وأول «ربيع». ولكن آخر «صفر» وأول «ربيع» لا يناسب أن يكون بداية تاريخ؛ لأنه غير مرتبط بأمر فلكي ثابت. فكان ولا بد أن يربط التاريخ بأمر فلكي ثابت مُسْتَقِرّ.

والأمر الفلكي الثابت المستقر في عُرْف الإسلام، وفي عرف ما شرعه

القرآن إنما هو التاريخ بالشيء الذي له علامة تميزه فلكياً وهو ظهور الهلال؛ لأنك لا تستطيع أن تعرف الشهر بالشمس، ولكن الشمس جاءت لتؤرخ لك الليل من النّهار، ولكن الهلال جاء ليؤرخ لك الشهر من الشهر، ولذلك أنت لا تستطيع أن تحكم على الشهر بالشمس أبداً، وإنما تحكم على اليوم فقط بالشمس.

فحين تريد تاريخاً شهرياً لا تجد أمراً فلكياً له علامة فلكية لا يُجَادَلُ فيها إلا أن يوجد هلال.

إذن.. فربط التاريخ بالهجرة، والهجرة بالتاريخ القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ ...﴾ [التوبة: ٣٦] أولها المحرم، رُبط به لأن لها بداية، وهي الهلال في أول «المُحَرّم» فيعلم للجميع أن ذلك هو بداية الشهر.

فحين أرادوا أن يؤرخوا للهجرة. كحدث ضخم من أحداث الإسلام. لم يؤرخوا للحظة التي حدث فيها الحدث وإنما أرخوا بالعام الذي حدث فيه الحدث ليظل العام عاماً يبتدئ من المحرم وينتهي بذي الحجة. وتظل العلامة المميزة لابتداء الشهر وهو الهلال.

فنقول نحن: في العام الهجري، أي: في العام الذي حدثت الهجرة فيه، أي: في العام. فالعام الأول: بدأ أيضاً بالمحرم وبدأ بصفر وبعد ذلك جاء حدث الهجرة في آخر صفر وفي أول ربيع، فنحن حين نحتفي، نحتفي بعام هجري حدثت فيه حادثة الهجرة. حدثت في أوله أو في آخره. هذا أمر لا يعنينا وإنما يؤرخ بالعام الذي حدثت فيه الهجرة. ليظل أمر التاريخ أمراً مرتبطاً بشيء فلكي مميز لا يمكن أن يشاركه فيه غيره.

وإذا ما نظرنا إلى حدث الهجرة نجد أن الاسم لها الهجرة، ولكن كل فعل تعرض لها كحدث «هاجر» ولم يقل: «هجر» وكان من المنطق أن نأخذ «الهجرة» و«هجر» من مادة واحدة صحيح هما من مادة واحدة. ولكن «هاجر» غير «هجر».

فلماذا اختير الاسم من الثلاثي ثم جيء في الفعل بفاعل التي هي «هاجر» الرباعي؟ وسُمُّوا مُهَاجرين ولم يُسَمُّوا هاجرين؟ ما هي الحكمة؟ لأن هناك في «هاجر» الشائع فيها في استعمال اللغة أنها تأتي من طرفين، كما تقول مثلاً: قاتل.. قاتل زيدٌ عمراً. قلنا: إن مادة «المفاعلة» لا بد فيها من طرفين متقابلين. يشاركان: لا يقال: «شارك زيد» ونسكت، لا بد أن نقول: شارك زيد مَنْ؟ لا نقول: قاتل زيد ـ نقول: قاتل زيدٌ مَنْ؟ نقول: قاتل زيدٌ عمراً وقاتل عمرو زيداً أي: مفاعلة تأتي من الجهتين. وقلنا: إن المفاعلة لا بد أن يكون فيها طرفان؛

كل منهما: فاعل ومفعول في نفس الوقت. ولكن في اللفظ يرجح جانب الفاعلية في جانب، وجانب المفعولية في جانب فيقال: «شارك زيدٌ عمراً». التحليل: أي: وشارك عمرٌو زيداً. فغلبنا الفاعلية في الأول والمفعولية في الثاني.

ففي «هاجر» الحدث في ذاته كانت هناك مفاعلة.. ممن؟ لأن الرسول ﷺ لم يتجنَّ على مكة فيهجر مكة؛ لأن «هجر» سبب من جهته هو أي: لم يحب أن يعيش فيها.

فيقال: هجرها. هجرت كذا. ولكن حين يقال: «هاجر»؛ فكأن من في المكان كان لهم مَدْخَلٌ في المهاجرة؛ لأنهم لو لم يؤذوه ويؤذوا أصحابه ويضطهدوا المؤمنين الضعفاء السابقين ويضطروهم إلى أن يذهبوا إلى أماكن شتى ليحموا أنفسهم من بطشهم ما هاجروا إلى المدينة.

إذن.. فالذي ألجأهم أن يهجروا المكان، لا مجرد بُغض للمكان أبداً!! وإنما لأن من في المكان اضطرهم أن يهاجروا.

إذن.. فالمسألة مفاعلة ممن «هاجر» وممن اضطرهم إلى أن يهاجروا. ولكن اسم الهجرة كحدث صار اسماً ضخماً فأخذ من الثلاثي، ولكن الفعل ظل مأخوذاً من المفاعلة وهو من «هاجر» ليشير إلى المناسبة.

والشعراء التفتوا قديماً إلى هذا المعنى؛ فيقول المتنبي مثلاً:

إذا تَرَحَّلتَ عن قومٍ وقد قَدَرُوا ... أن لا تفارقهم فالرَّاحلون همُ

أي: إذا ألجأك قوم أن ترحل وهم يقدرون ألّا ترحل فلا تكون أنت الراحل، وإنما هم الذين رحلوا.

فكأن رسول الله ﷺ لم يهجر «مكة»؛ لأنها كانت أحبَّ البلاد إليه، ولكنه هاجر، ومعنى «هاجر» أن من في مكة ممّن لم يقبلوا دعوة الإسلام اضطروه بالإيذاء له ولأصحابه وباضطهادهم إلى أن يهاجروا.

إذن.. فالمفاعلة قائمة على أصولها، والذين فعلوا معه ذلك يعتبرون هم الذين هاجروا؛ لأنهم كما قال المتنبي:

إذا تَرَحَّلتَ عن قومٍ وقد قَدَرُوا ... أن لا تفارقهم فالرَّاحلون همُ

ولذلك كان جزاؤه ﷺ كما جاء في السير: «اللّهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إليّ، فأسْكِنّي أحبَّ البلاد إليك».

إذن: فيجب أن نفهم من هنا أن المدينة أحب بلاد الله إلى الله، وأن مكة أحب البلاد إلى رسول الله ﷺ.

انظروا إلى الفارق بين محبوب الله، وبين محبوب رسول الله ﷺ، الرسول ﷺ يعطينا بحدث الهجرة درساً يجب أن نتأسى به في كل تصرفات أحداثنا الضخمة التي نحاول بها أن نؤثر في مجرى الحركة للحياة؛ لأن الذي يجيء ليغير مجرى حركة حياةٍ ألفها الناس وعاشوها لا بد أن يتعرض إلى كثير من المتاعب لأنه سيخرج الناس عما ألفوه، وينزعهم ممّا اعتادوه، وذلك أمر شاق على النفوس وخاصة إذا كان النقل أمراً غير مساو، بل النقل من أمر تنطلق فيه حرية الحركة للأفراد يفعلون ما يشاؤون ويتركون ما يشاؤون وينتقلون الآن إلى دائرة، هذه الدائرة تتحكم في أمورهم. فتقول لهم: افعل كذا ولا تفعل كذا.

إذن.. فالذي يغير مجرى حياة إلى مناقض لها لا بد أن يتعب، لا بد أن ينصب، ولكن التعب والنصب لا يمنعانه من أن يأخذ بالأسباب في مظانها وفي أماكنها.

ورسول الله ﷺ آمن أولاً بأنه رسول الله، لأنه يشهد هو كما نشهد له نحن ـ فيقول: أشهد أن محمداً ﷺ رسول الله. فلا بد كما شهد الله لنفسه: أنه لا إله إلا هو؛ كذلك يشهد محمدٌ أنه رسول الله. وإلا فلو لم يقتنع تماماً بأنه رسول الله لاهتز من أول حدث، ولكن الذي يجعله يقف أمام الأحداث أنه يعلم أنه يستند إلى ركنٍ رشيد شديد هو الله، وأن كل ما يحدث له إنما هو أمر ابتلاء حتى يتحمل الدعوة الجديدة قوم لهم جلد.. قوم لهم صبر.. قوم لهم دربة على تلقي المصاعب وتحدي كل العقبات.

كان من الممكن أن ينصر الله الإسلام في مكة، ولكن الله سبحانه لم يشأ ألّا يحمِلَ الإسلام قومٌ رأوا في الإسلام عوضاً عن أهلهم، وعوضاً عن أولادهم، وعوضاً عن أموالهم، ما داموا وجدوا هذا فهم يتحملون تعب الدعوة، والله قد أعد الجزيرة من قديم لتحمل رسالة الإسلام، وكان من إعداده لها أنها أمة أمية.

فلربما قائل يقول: كيف تعد أمة أمية؟

نعم؛ لأن الله لا يريد انطلاقة تنشأ حضارية من أمة متحضرة؛ لأنه ربما قيل: إن الدعوة نضجت لحضارة كان ولا بد أن توجد.

فلم يشأ الله أن يكون الإسلام في فارس ولم يشأ الله أن يكون الإسلام في

الروم؛ لأنها دول ذات حضارات، ودول ذات ارتقاءات فربما قال: قفزة حضارية يريد الله أن يجيء بنبي أمي في أمة أمية؛ ليعلم الناس جميعاً أن ما عندهم ليس للبشر دخل فيه، وأنه من عند الله وحده.

إذن.. فيجب أن نعلم أن الذين يحاولون أن يتكلموا عن أمية محمد ﷺ ويقولون: يجب أن تمحى هذه الكلمة من الأمة الأمية ومن النبي الأمي؛ لأن ذلك سُبَّة؟

نقول لهم: افطنوا يا قوم.. إن الله يريد أن يقول لكم أن محمداً وقوم محمد لم يأخذوا من حضارة الدنيا شيئاً ليسودوا به الدنيا وإنما جاء كل منهجهم من السماء فلا دخل لأحدٍ فيه. لا بالنسبة للرسول الذي أنزل عليه ولا بالنسبة للقوم الذين أنزل عليهم.

الرسول ﷺ صار في أسباب الدعوة، وعرض نفسه على القبائل. والرسول ﷺ قبل الهجرة كان محمياً في الخارج بعمه أبي طالب، فكان الكفار المعاندون المعارضون للدعوة يحترمون بقاء أبي طالب معهم على ديانتهم ولا يشتدون في إيذائه ﷺ.

وكأن عدم إيمان أبي طالب كان كترضية لهؤلاء في ألّا يؤذوا محمداً إيذاءً كبيراً، لأنهم يحترمون بقاء عمه أبي طالب في حضانة دينهم فاحتراماً لهذا ربما كان ذلك.

ولكن لو آمن أبو طالب، أو أعلن إيمانه؛ لأصبحت المهاجرة أمراً عادياً وربما كان لهم فعل كبير في الإسلام!!

إذن.. فيجب أن نفهم أن الله سبحانه وتعالى قد ينصر الإيمان بالكفر، فنُصر إيمان محمد وحمايته بكفر أبي طالب.

يجب أن نفطن إلى هذا.. لماذا؟

لأن الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن يثبت أمراً يأتي بالنصير للأمر من خصوم ذلك الأمر. وذلك هو معنى قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

أبو طالب كان حامياً للنبي ﷺ على طريقة الحماية السببية وإن كان محمد عليه الصلاة والسلام يَعْلَمْ أن الذي أرسله لن يخذله.

لا يمكن أن يخذل. ولكن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يطمئنه اطمئنان السببية في أن يجد شيئاً مادياً هو عمه، وله مكانته وله مهابته في القبائل.

وإذا نظرنا لا نجد أيضاً أن المتاعب فقط لصاحب الدعوة تكون في خارج أمره ولكنها تكون له أيضاً في داخله. فقد حدثنا القرآن أن امرأة نبي وامرأة رسول كانت تخونهما في أمر الدعوة. ولكن كانت خديجة لرسول الله ﷺ سكناً بمعنى الكلمة فإن أُهيجَ في الخارج سَكَّنَتْهُ في الداخل، وإن حصلت له مشقات عنف قابلته بحنان وعطف. كل ذلك كان يدلنا على أن رسول الله كان مطمئناً إلى الخارج بأبي طالب وإلى الداخل بخديجة.

وبعد ذلك يفاجأ رسول الله ﷺ بأن أبا طالب يموت، وخديجة تموت في عام واحد.

إذن.. قد انهدم السكنان فلم يجد رسول الله ﷺ، بُداً أن يذهب ليأتي بالنصر، يعرض نفسه على الطائف، على قبيلة ثقيف ربما آمنت. ربما حمته. ولكن استقبلت. كما تعرفون من التاريخ. وقد تكرر ذلك طويلاً لدرجة أنه أصبح من البديهات من الإسلام.

ولكن عز عليه النصير في الطائف، وقد ذهب هو إليه فيعلمنا الله أول درس بالهجرة أن أخذك بالأسباب لا بد أن يكون سابقاً على اتكالك على المُسَبِّب.

إن الأسباب مخلوقة لله، ويد الله ممدودة بالأسباب فلا ترُدْ يد الله بأسبابه ثم تقول: يا رب افعل لي؛ لأنه يقول لك: أنا أعطيت لك بالأسباب في الأرض فلم لا تتناول هذه الأسباب، أنا أجيب دعوة المضطر.

معنى المضطر: هو الذي استنفذ الأسباب. فرسول الله ﷺ استنفذ كل أسباب الاستنصار لدينه. ولكنه لم يجد، فيشاء الحق سبحانه وتعالى أن يقول له: إنك قد ذهبت للنصير وتعبت في الوصول إليه فلم تجده، فأخذت الأسباب فليكن نصر المُسَبِّب بأن يأتيك أنت النصير وأنت في مكانك وفعلاً جاء الأنصار وذهبوا إلى رسول الله ﷺ في العقبة وبايعوه قلة ثم أكثر من القلة ثم كثير فكانوا الخميرة الإيمانية في المدينة التي تبشر بمحمد ﷺ.

إذن.. فرسول الله، ذهب إلى الأسباب فلم تواته الأشياء، وجاءته الأسباب إلى مكانه: معنى هذا أن ذلك الدرس يجب أن يتعمله المسلمون جميعاً.

أن يصنعوا الأسباب ولكن لا يفتنوا بهذه الأسباب؛ لأن وراء الأسباب مسبباً إن خذلتهم الأسباب فالمسبب لا يمكن أن يخذلهم أبداً.

هنا أيضاً يجب أن نلحظ أن الله سبحانه وتعالى يعطينا في الهجرة لفتات، هذه اللفتات ـ هي سببية الحدث. وسببية الحدث ليس معناها أن تقبل على السبب بدون دراسة وبدون تخطيط لا . . إن رسول الله حينما أوذي أتباعه، ولم يجدوا لهم نصيراً، وخافوا الفتنة في دينهم نظر رسول الله كنانة العالم أمامه وبسط خريطة الدنيا وقال: إلى أي مكان آمرهم أن يذهبوا؟ إن ذهبوا إلى أية بقعة من الجزيرة، فالجزيرة خاضعة لسادات قريش؛ لأن قريشاً هي سادة العرب، وكل العرب تهابهم، وتحترم قوافلهم وتجارتهم؛ لمكانهم من البيت. إذن . . فأي مكان يذهبوا إليه في الجزيرة سيجدوا من يتطوع، أو من يتقدم ليجامل قريشاً بأن يمكن لهم من هؤلاء المهاجرين.

ثم استعرض خارج الجزيرة فوجد «فارس» ووجد «الروم» وهؤلاء هم أهل كتاب، ولكن استعرض معهم بلداً. لا يكفي أن يكون البلد خاضعاً لكتاب في الروم، ولا يكفي أن يكونوا مؤمنين برسول بل يذهبوا إلى السُّلطة الزَّمنية التي تُعايش الروم، السُّلطة الزمنية قد تكون تابعة لكتاب ولكن ظالمة. لا تنفذ تعاليم هذا الكتاب.

«فارس» مبعدة؛ لأنها وثنية. إذن . . بقيت الروم. فاستعرض هذه البلاد فرأى أعدل حكام هذه البلاد بدليل أنه قال: «اذهبوا إلى الحبشة فإن هناك ملكاً لا يُظْلم عنده أحد».

كان ذلك إيذاناً من رسول الله ﷺ حين قال: «لا يُظْلم عنده أحد» إلى أن قريشاً لن تترك أصحابه في الحبشة، وستذهب بالألطاف والهدايا وترشو الحاكمين والمسلطين والممكنين فيها ليسلموا لهم هؤلاء الذين فروا بدينهم. لكن رسول الله ﷺ، قال: «إن هناك ملكاً لا يظلم عنده أحد». هذا هو بسط الخريطة.

إذن . . فبسط الخريطة ليعرف المكان المناسب ليس مجرد فرار، ولكن فرار إلى أمن، ولذلك سميت الهجرة قبل هذه الهجرة بـ «هجرة إلى دار أمن» أما الهجرة التي أرخت بها فهي «الهجرة إلى دار إيمان».

والفرق بين الهجرتين: أن هذه الهجرة إلى أمن، وهذه هجرة إلى دار إيمان.

ننظر نظرة أخرى نجد أن رسول الله ﷺ علمنا حين نخطط للأشياء أن نخطط لكل جهاتها ولكل مجالاتها.

فقد خطط لآلة السفر «الرواحل».

وخطط لزاد السفر.

وخطط من يهدي إلى الطريق.

كل شيء صُنع بحساب دقيق.

لعل قائلاً يقول: إن رسول الله ﷺ كان بأي سبب سينتصر؟ لأن الله أرسله ولن يخذله؟! ولكنه يعلمنا نحن الذين لا ينزل علينا وحي حين نقبل على أمر من الأمور يجب أن نخطط له. وانظروا إلى مكر الله بالكافرين، بالله استعرضوا الأمر وقولوا لي: بأي عقلية وبأي عقيدة جاء الرجل الذي اسمه: ابن أريقط ليهدي محمداً إلى الطريق إلى المدينة وهو كافر على دين قومه، أما أغراه الجعل الذي جعلته قريش لمن يدل على محمد؟ مع أنه كافر، لو كان مؤمناً لقلنا: إن حرارته لحفظ نبي الدعوة هي التي جعلته يدلهم، ولكنه كافر، ومع ذلك استخدمه رسول الله ﷺ ليكون هادياً إلى الطريق، وكان من الممكن ما دام هادياً إلى الطريق أن يضللهم في الشعاب ليذهبوا إلى حيث خرجوا، ولكن رسول الله ﷺ بإشراقات النبوة وإلهامات الوحي أمن ذلك الرجل.

لا بد أنه قرأ شيئاً في إشعاعات عينيه.

لا بد أنه قرأ شيئاً في مواجيده، ووجد: أن هذا لا يمكن أن يبيعنا إلى قريش مع أنه كافر!!

فإذا ما علمت قريش أن الذي هدى محمداً إلى الطريق كافر؛ كان ولا بد أن يفهموا أن هذا الدين لن يسلم إليهم أبداً.

أيضاً: نجد أن رسول الله ﷺ هاجر خفية، ولكنها خفيةٌ أشق على نفوس الكافرين من العلن؛ لأنه هاجر خفية وهم متربصون، وهم محيطون به، فكيف يخرج من بينهم؟ تلك نكاية أخرى، لو لم يكونوا محيطين به، لقالوا: لو أحطنا به لما أفلت منا؟!

لا.. أحيطوا به وسيُفلت!!

وبعد ذلك ننظر نظرة أخرى: وهو أن رسول الله ﷺ ليس أقل شجاعة من عمر؛ فإن عمراً هاجر جهرة، متحدياً وقال: «من أراد أن يثكل أمه، أو يرمل زوجته أو ييتم ولده، فليلقني وراء هذا الوادي».

أكان محمدٌ أقل شجاعة من عمر؟!

لا.. إن محمداً ﷺ كان دائماً أسوة للضعيف، أما القوي فلا يحتاج لأسوة!

ربما عز على واحد أن يقول أنا أهاجر خفية! لا . . محمد هاجر خفية .

إذن . . هاجر بأي وسيلة استطعت .

فيخاف أبو بكر أن يكون أمامهم رَصَدٌ يَتَرَصَّدُ لرسول الله ﷺ . فيمشي أمامه ليتأكد ان ليس أمامه رصد .

وهو لا يمشي إلا في المنحنيات غير المتضحة . فيمشي خلفه الرسول ﷺ فيخاف أبو بكر عليه؛ أن يأتيه من أمامه من قبيل يترصد له .

ومرة يخاف عليه ممّن يطلبه من وراءه؛ فيمشي خلفه إذا ذكر الرصد؛ صار أمام رسول الله ﷺ . وإذا ذُكِرَ الطلب؛ صار خلف رسول الله ﷺ .

وإذا وجد مثلاً: حينما يقول يأتي يميناً وشمالاً، لا بد أن يجد هنا مُنعطفاً، أو مكاناً ككهف يوارى . أو أكمة . . . إلخ .

إذن . . أبو بكر ضحى بذاتيته . هب أن هناك رصداً . من الذي يُؤخذ أول شيء من الرصد أبو بكر .

الطلب: أبو بكر .

اليمين: أبو بكر .

الشمال: أبو بكر .

إذن . . قوله: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» الخوف هنا ليس على ذاتيته؛ لأنه ضحى بذاتيته في المواقف كلها . وإنما الخوف هنا على رسول الله ﷺ .

هذا درس يعطينا أنه إذا ما كان في الناس رائد فِكْر، أو رائد إصلاح، أو رائد جهاد يكون من تمام إيمان الناس أن يحافظوا على هذا الرائد . لأنه ليس كل أحد يصلح أن يكون رائداً . هناك أناس يعوضون إن ماتوا، وأناس لا يعوضون .

إذن . . يجب أن يكون من يعوض فداء لمن لا يعوض . حين يكون هناك من يعوض فداء لمن لا يعوض، يكون هنا إيمان بالدعوة من جميع أطرافها؛ من مركزها تبعاً، ومن محيطها، ومن أقطارها، ومن كل شيء، الكل يضحي من أجل هذا .

لكن هذا يجب أن نفهم أنه يعيش للدعوة، لا بد أن نعرف من تصرفاته أنه لا يعيش لنفسه . ولا للمحيطين به . حينئذ يستحق أن يضحي كل فرد من الأفراد المحيطين به ليبقى عنواناً للدعوة عنواناً للرأي . عنواناً للفكرة . كذلك كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

الرسول ﷺ يخاطب من ناحية يقين المعاينة فيقول: «ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما»؟! انظر إلى يقين المعاينة. فكأنه عاين: اللّه ثالثهما.

وما دام هو يتحدث من ناحية يقين المعاينة واللّه ثالثهما، وهم في معية اللّه. والمعية من الضعيف مع القوي تضفي على الضعيف قوة من القوي.

هب أن رجلاً ضعيفاً صار مع فارس وبعد ذلك داهمته قوة، الضعيف لا يواجه إلا بالفارس فحين يكون الإنسان في معية اللّه يواجه كل الأحداث باللّه. ولكنه حين ينفصل عن اللّه؛ يواجه كل الأحداث بنفسه: «ما بالك باثنين اللّه ثالثهما».

وما دام اللّه ثالثهما؛ فإنه يرد على أبي بكر بأنه لو وضع أحدهم عينيه تحت أقدامه لا يرانا؛ لأنهم في معية من لا تدركه الأبصار.

إذن.. قانون القوي هو المسيطر.

وننظر إلى حدث «أم معبد» في الهجرة:

أم معبد تستقبل ركب الهجرة، ولا تجد عندها ما تقريه. ليس عندها شيء.

والكريم حين يؤذى بصدمة الإعسار تكون شديدة عليه. حينئذ يجود بما عنده ولم يكن عندها إلا شاة ضرعها ليس فيه شيء. فقدمتها فمسح رسول اللّه ﷺ على ضرعها فدر لبناً.

ليس هناك اضطرار أكثر من هذا!!

ليس عندهم وأيضاً هي ليس عندها، فلا الطارق عنده، ولا المطروق عنده.

إذن.. الأسباب غير موجودة.

فالحق سبحانه وتعالى يجري خرق النواميس فيها. فيدر ضرعها، فتشرب هي ويشربون هم.

وبعد ذلك: نأتي إلى ملحظية الاستقبال: وملحظية الاستقبال يجب أن نفهم فيها أنها احتشاد بمكلف، واحتفال بمن يقيد حركة. لو كنا سنحتفل برجل يطلق حركتنا في الوجود، فإن الأمر سيكون سهلاً.

ولكن هذا الرسول جاء بتشريع يقول: افعل كذا ولا تفعل كذا. جاء ليقيد حركتهم.

فبعد أن كنتم أحراراً فيما تأتون، وفيما تدعون. لا يحكمكم التزام بمنهج ولا أمر من مشرع. أنتم ستصبحون مقيدين ملتزمين!!

فكيف يفرح الإنسان بالمقيد والملزم؟

هذا شيء عجيب!!

أنا أفهم: أننا نفرح برجل يعطينا راحة.. بحبوحة.. أما هذا فجاء بجماعته «المهاجرين» وليس لهم شيء، وكان ولا بد وأن يستقبلهم الأنصار بأرزاق لأنهم لا أرزاق لهم؛ وبأماكن لأنهم تركوا بيوتهم وأهليهم، فكانوا لا بد أن يكونوا أهلاً لهم بدل أهلهم ومالاً لهم بدل أموالهم وسكناً لهم بدل سكنهم، ويقيدهم منهج جديد.

كيف يفرحون بهذا؟! مما يدل على أن صفقة الإيمان حين تعقد يجب أن يلحظ فيها لا التقييد الذي يقيد الحركة، ولكن الجزاء على تقييد هذه الحركة. ولا شك أن الجزاء على تقييد الحركة، والجزاء على التضحيات التي تنتظر الأنصار ليقدموها للمهاجرين قارنوها بما أعد لهم، وأيقنوا بأنه معد، قارنوها بهذا فوجدوها أمراً ضعيفاً يستحق أن يوهب كما تهب أنت الثمن لمن باع لك السلعة طمعاً في أن السلعة ستكون أكثر من الثمن.

ولذلك نجد لوناً من التآخي يحدثه رسول الله ﷺ؛ ليكون أسوة تسير في دنيا الإيمان كلها، وتنتظم جماعات المسلمين.

النعم التي ينعم الله بها على عباده كثيرة.

ومن الممكن أن تتعدى نعمتك إليَّ في أي مظهر من مظاهر النعم: مالاً، مركباً، داراً، زرعاً، ثمراً. كل نعمة ممكن إلا نعمة الله بالمرأة على الرجل؛ فتلك نعمة لا يحب أحد أن يشارك فيها أبداً.

هذه قمة الأشياء التي يحتفظ بها، ولا تسمح بها النفس.

تجدها عند الأنصار. فالمهاجرون خرجوا من ديارهم ومن أموالهم، ومن أزواجهم يأتي الرجل من الأنصار المتزوج من امرأتين، فيقول للمهاجر: راهما، أي: انظرهما التي تعجبك أطلقها لكي تتزوجها أنت!

إيثار من نوع جديد. أروني أية سماحة هذه!!

الشيء الذي تضن به بنية الغيرة في الإنسان، كل نعمة تحب أن تتعدى إلى سواك إلا أن تتمتع بامرأة ثم يراها أحد، أو يتمتع بها أحد.

لكن هذه أيضاً أظهرت حميتهم لإيمانهم الجديد، هذه الحمية التي تأتي في الجنس بالنسبة للمرأة فيضحي الواحد منهم بامرأة من امرأتيه حتى يهبها إلى المهاجر.

ولما يأتي رسول الله ﷺ فيجد أن الحق سبحانه وتعالى قد هيأ له الزمان، وهيأ له المكان المناسب لانتشار الدعوة، فيبدأ أولاً بمهبط الإشعاع وهو

المسجد. لأن فيه: مكان دوام إعلان الولاء لله الذي آمن به.

قلنا: إنه يتكرر حتى يتكرر إعلان الولاء؛ لأن مشاغل الحياة قد تأتي فتسمع المؤذن للفجر يقول: الله أكبر، وتسمع المؤذن في الظهر يقول: الله أكبر، وفي العصر يقول الله أكبر، وفي المغرب يقول: الله أكبر، وفي العشاء يقول: الله أكبر. ثم تنام لا يشغلك شيء وأنت نائم.

ولذلك إذا ما لاحظت قوله سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ... ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [النور: ٣٥].

ماذا قال بعدها؟

قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور].

وفي قراءة أخرى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ﴾.

لو نظرت إلى مدلول العبارة لوجدت كلمة ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ جار ومجرور أين متعلقه؟ لا بد له من متعلق. وهذه جاءت بعد ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ... ﴾ إلخ الآية وبعدها قال: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾.

فكأن تجليات نور الحق تنشأ في المكان الذي تستحضر فيه أنت نفسك بين يدي الحق فتهب عليك تجليات الحق سبحانه وتعالى خمس مرات في اليوم ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ﴾ [النور] لأنها اللحظة التي يناجون فيها ربهم. اللحظة التي فيها خلوتهم مع ربهم.

إذن.. فالرسول ﷺ أول ما صنع: هيأ المكان الذي يجب أن يكون فيه دوام إعلان الولاء لله الذي آمن به الجميع.

وما دام دوام إعلان الولاء لله الذي آمن به الجميع، فإن الجميع ارتبطوا ـ باختلاف أهوائهم واختلاف نزعاتهم واختلاف ميولهم ـ بشيء واحد.

والمربوط به ليس مماثلاً.

قلنا سابقاً: إن الذي يتعب الناس مع بعضهم خوف أحدهم أن يتبع واحداً في رأيه، أو أن واحداً يستذل واحداً بمنهجه. نقول له: لا.. حين تكون أنت وهو خاضعين لمنهج إله واحد فالذلة منك ومنه معاً سواء، لمن؟ لغير مماثل.

وما دام الذلة لغير مماثل وأقوى، إذن.. كلنا نصدر عن حركة واحدة. وإذا ما نظرنا إلى اختلال هذه في الأمم التي نعايشها الآن وجدنا أن أصل البلاء في الأمة العربية والإسلامية أن كل واحد له هوى، وكل واحد له رأي.

إذن.. المسألة للقوي، والويل للغافل، والويل للضعيف، والويل للذي ليس له نصير، ولكننا لو كانت أهواؤنا جميعاً صادرة عن هوى واحد كما قال الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» حين يكون هوى الجميع تبعاً لما جاء به النبي ﷺ فلا تضارب في الحركة. ولا تضارب في الهوى، ولا تنازع، ولا استذلال من أحد لأحد، ولا اعتزاز لأحد على أحد. وسيظل العالم في هذا الشقاء، وفي هذا التمزق، وفي هذ الانهيار حتى الخلقي؛ ما دام كل واحد له صوت واحد من دماغه.

نقول لهم ارجعوا إلى صوت واحد وهو: صيحة السماء في أذن الأرض.

فإن رجعتم إلى صيحة السماء في أذن الأرض فستفيقوا جميعاً، وستجدوا عزكم جميعاً. وستجدوا أنكم جميعاً تحكمون عن الله، وحين تحكمون عن الله يستنكف الواحد منا أن يظلم أحداً. يستنكف الواحد منا أن يستذل أحداً. يستنكف الواحد منا أن يضن بقوته على ضعيف.

ولكن ما دمتم هكذا فليكن الأمر على ما أنتم عليه الآن.

الاستطراق الذي صنعه رسول الله، قد يقال في المؤاخاة؟ نقول: لا. إن أول استطراق: الاستطراق العقدي في وحدة التلقي عن إله واحد والاجتماع والوقوف بين يدي الله في مكان واحد ونسمع كلنا مبدأ واحداً لا نختلف فيه أبداً وهو: الله أكبر، ونشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

ثم يأتي بعد ذلك كل استطراق اقتصادي أو اجتماعي أو عهدي حلفي ـ كما صنع مع اليهود عاهدهم أولا؛ لأنهم أهل كتاب، وكان المفروض فيهم كما كانوا يستفتحون على الذين كفروا، كان المفروض فيهم أن يكونوا أول مؤمن به، ولكنهم على العكس عاونوا الكافرين على رسول الله ﷺ، وما علموا من غبائهم أنهم هم الذين حموا الإسلام في المدينة.

انظروا كيف مكر الله بهم؟

كانوا قبل أن يجيء الإسلام يستفتحون على الذين كفروا.

كانوا يقولون: يأتي نبي منكم نتبعه نحن؛ لأننا أتباع نبي وحين نتبعه نقتلكم أيها الوثنيون قتل عاد وإرم!!

فكانوا يهددون الأوس والخزرج بالنبي المنتظر، الذي عندهم علم به، وجاء في كتبهم، ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكانوا يتوعدون الأوس والخزرج بأنه إذا ما ظهر ذلك النبي فسنتبعه، وحين نتبعه نكون قوة به، وحين نكون قوة به نقتلكم قتل عاد وإرم.

فالأوس والخزرج سمعوا منهم هذا، فحين علموا منهم أن نبياً قد ظهر بمكة قالوا: هذا هو النبي الذي توعدتنا به يهود، هيا بنا لنسبق إليه قبل أن يسبقونا إليه.

فكأن الله كما جعل الكافر. في مبدأ الانطلاق للهجرة. الهادي لركب محمد ﷺ وصاحبه. وهو الذي جاء بأنصار الإيمان إلى مكة يهود.

إذن.. فالكفار واليهود تعاونا على نصر الإسلام ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] حينما استقر رسول الله ﷺ في المدينة، ووجد في الأنصار ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

ويقول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ [الحشر: ٩] كل هذا أظهر حفيظة قريش.

ولكن قريشاً رأت أنها بصدد قوة هذه القوة أصبحت تهددهم، وتهدد مركز المهابة في نفوسهم.

ومركز المهابة لقريش: أن تجارتهم لا يتعرض لها. لا في الجنوب ولا في الشمال، ولماذا لا يتعرض لتجارتها؟

لأن الحج إلى بيت الله كان موجوداً، وكل قبيلة مهما نأت كانت منها من يحج إلى بيت الله كل عام.

إذن.. فأي قبيلة يمرون بها شمالاً إلى الشام، وجنوباً إلى اليمن سيمرون بقبائل؛ وهذه القبائل يضطرها أمرها أن تذهب إلى الحج. فكل قبيلة من هذه القبائل ستكون بين يدي قريش بمكة، فيخافون أن يتعرضوا لتجارتهم بسوء؛ لأن الانتقام منهم مؤكد حين يذهبون إلى بلادهم.

فكانت المهابة لقريش من هذه الناحية. ولذلك كانت أي قبيلة تخاف أن تجير عليهم ومعنى: تجير عليهم: يعني يقول: أنا مجير هذا من قريش. لا يستطيع أحد أن يقول هذه الكلمة أبداً.

فإذا كانت قريش بهذه المنزلة، ووجد في الطريق للشام قوة إسلامية أصبحت تهددها، وحين تهددها أصبحت قريش تفقد مهابتها؛ لأن الذي جاء لها بالصيت: رحلة الشتاء ورحلة الصيف؛ فحين توجد قوة في المدينة تستطيع أن تقف أمامها، وهذا ما حدث في أيام بدر في العير والنفير!!.

إذن.. فقريش أصبحت تخاف هذه المهابة على نفسها خوفاً اقتصادياً، وخوف مهابة، أن تسقط هذه المهابة، ولذلك كان ولا بد أن تقع معاهدة بين قريش الكافرة وبين رسول الله ﷺ وهي معاهدة الحديبية.

إذن.. أصبح رسول الله قوة. وما دام قوة: تُعاهِد وتعاهد. يعني: تعطي شيئاً وتأخذه.

إذن: فقوته قد اعترف بها.

حين أصبح قوة يعترف بها. لمكان موقع المدينة بالمهاجرين وبالأنصار من الإسلام، ومن قبائل قريش. استطاع محمد ﷺ أن يعاهد.

وحين عاهد أمن الشر من جانب، فتفرغ لجوانب أخرى.

إذن.. فالهجرة إلى المدينة كانت انطلاقاً بالدعوة، ولذلك تجد كل الأحداث الضخمة نشأت بعد الهجرة.

الهجرة في ذاتها حينما تكون حدثاً إسلامياً، ويجب أن نعلم أن رسول الله ﷺ وعمره الإيماني من ساعة أوحي إليه إلى أن لقي الرفيق الأعلى كل جزئية من جزئيات حياته، حركة. أي فعل. أو قول، وحركة غيره أمامه، وقول غيره أمامه ويقره دستور لم يترك صغيرة ولا كبيرة من أقضية الإسلام التي تنشأ إلى أن تقوم الساعة.

فحين نريد أن نأخذ العِبَر من حياته ﷺ، يجب أن نأخذ العبر لا على أنها قصة تاريخية نقتل بها الوقت، ولا أن نأخذها ترفاً عقلياً، ولكن نأخذها على أنها تشكل نمطاً سلوكياً.

ومعنى: تشكل نمطاً سلوكياً: أن كل من يعي قضية من قضايا الإيمان وجزئية من جزئيات الإسلام مسؤول أمام الله عن بلاغها نظرياً، وعن توضيحها تطبيقياً. وعن إمكانها أن تحدث سلوكياً؛ لأن الذي يظهر الآن أن مبادئ الإسلام شيء ما أجمله!! ولكن تطبيق المسلمين لما يعلمون من الإسلام شيء يُزْهَدُ فيه.

فهم بتصرفاتهم يصرفون الناس أن ينظروا في الإسلام. ولذلك لا أزال أذكر

كلمة المستشرق المفكر في القمة ـ الذي أسلم ـ قال: «الحمد لله الذي هداني للإسلام قبل أن أعرف المسلمين». لأنه ربما لو كان عرف المسلمين بسلوكهم المخالف لم يسلم.

لأن السلوك يظن البعض أنه يمثل الإسلام هكذا فهموا!!

نقول: لا.. تلك نظرية يجب أن تبتعد في مجال المقارنات المبدئية، لماذا؟ لأن الإسلام حين يشرع شيئاً ليس معناه أن كل مؤمن بالإسلام سينفذه. قد يخالف، وما دام قد يخالف يكون قد ارتكب جريمة في الإسلام وما دام قد ارتكب جريمة فلا بد لها من عقوبة.

فالآفة ألا تجد في مبدأ الإسلام عقوبة على شيء تراه أنه جريمة، أما أن توجد جريمة وبعد ذلك تقول: المسلمون يفعلون!!

نقول: يفعلون ولا يجرمون، أم يفعلون ويجرمون ويعاقبون؟!

إذن.. الآفة الآن أنهم يفعلون ولا يجرمون!!

وقد يجرمون ولا يعاقبون.. لماذا؟

لأن الإسلام معطل الآن، ليس له وظيفة، ليس له شغل، موضوع في المتحف أو في رؤوس البعض. والله يريد الإسلام مبدأ نظرياً ينقل ويحقق، ومبدأ تطبيقياً يطبق، فإذا ما قصرنا في الأول فقد قصرنا في حمل العلم الذي قال فيه الرسول ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وإذا ما علمنا وقصرنا في التطبيق ابتدأ غير المسلمين لا ينظرون إلى إيماننا ولكن ينظرون إلى سلوكنا.

فحين يرون سلوكنا غير إيماني يزهدون في الإسلام.

إذن.. فنحن الذين نزهد في الإسلام وكان الأولى أن نكون الداعين إلى الإسلام[1].

❁❁❁

(١) شريط كاسيت بعنوان: «الهجرة النبوية.. دروس وعبر» لفضيلة الشيخ الإمام أهدي إلينا من الأخ الأستاذ محمد عوض، بإذاعة القرآن الكريم، مصر.

معنى الهجرة

قال الشيخ الإمام: كلمة «هاجروا» مأخوذة من الفعل الرباعي «هاجر»، والاسم «هجرة» والفعل «هاجر». وهجر غير هاجر. فقد يترك الإنسان مكاناً يقيم فيه فيكون هذا معناه «هجر» أي يترك وهو عن قلة وضيق تدفع إلى الهرب، إنما هاجر لا بد أن يكون هناك تفاعل بين اثنين ألجأه إلى أن يهاجر.

إذن.. فهناك عمليتان: اضطهاد الكفار للمسلمين؛ لأنهم لو لم يضطهدوهم وعاشوا في أمان يعلنون إيمانهم وإسلامهم، ما حدثت الهجرة. ولكن الاضطهاد الذي لاقاه المسلمون كان تفاعلاً أدى إلى هجرتهم.

وقد تقدم قول المتنبي:

إذ ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

أي: أنك إذا تركت قوماً دون أن يكرهوك على ذلك تكون أنت الذي رحلت عنهم، ولكن المهاجرة التي قام بها المسلمون كانت بسبب أن الكفار ألجأوهم إلى ذلك.

إذن.. هجر تكون من جهة واحدة، واسم الهجرة مأخوذ من هاجر[1].

---

(١) والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض والمهاجرون: الذين ذهبوا مع النبي ﷺ مشتق منه وتهجّر فلان أي تشبه بالمهاجرين. وقال عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه: هاجروا ولا تهجروا؛ قال أبو عبيد: يقول أخلصوا الهجرة لله ولا تشبهوا بالمهاجرين على غير صحة منكم، فهذا هو التهجّر، وهو كقولك فلان يتحلم وليس بحليم ويتشجع أي أنه يظهر ذلك وليس فيه.

قال الأزهري: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من بادیته إلى المدن؛ يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك؛ وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة؛ فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر، فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ وكل من أقام من =

= البوادي بمباديهم ومحاضرهم في القيظ ولم يلحقوا بالنبي ﷺ، لم يتحولوا إلى أمصار المسلمين التي أحدثت في الإسلام وإن كانوا مسلمين، فهم غير مهاجرين، وليس لهم في الفيء نصيب ويسمون الأعراب.

الجوهري: الهجرتان هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة. والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية.

قال ابن الأثير: الهجرة هجرتان: إحداهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] فكان الرجل يأت للنبي ﷺ، ويدع أهله وماله ولا يرجع في شيء منه وينقطع بنفسه إلى مهاجره، وكان النبي ﷺ، يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فمن ثم قال: «لكن البائس سعد بن خولة، يرثى له أن مات بمكة»(١) وقال حين قدم مكة: «اللهم لا تجعل منايانا بها»(٢)؛ فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، وهو المراد بقوله: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة»(٣)، فهذا وجه الجمع بين الحديثين، وإذا أطلق ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة.

لسان العرب [٥/ ٢٥١].

وقال الفيروزآبادي:

الهجر: ضد الوصل، وقد هجره هجراً بالفتح وهجراناً بالكسر، والاسم الهجرة.

والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية.

والتهاجر: التقاطع.

وقد هجر المريض يهجر هجراً بالضم فهو هاجر، والكلام مهجور. قال أبو عبيد: يروى عن إبراهيم ما يثبت هذا القول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] قال: قالوا فيه غير الحق ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحق، وعن مجاهد نحوه.

والهجر بالضم: الاسم من الإهجار وهو الإفحاش في المنطق والخنا.

والهجر والهجران يكون بالبدن وباللسان وبالقلب، وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] أي بالأبدان؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ باللسان أو بالقلب؛ وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ محتمل للثلاثة؛ وقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ =

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري [٣٩٣٦] عن سعد بن مالك عن أبيه رضي الله عنهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند [٢/ ٢٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الشيخ شاكر رقم [٤٧٧٨].

(٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود [٢٤٧٩] وقال الألباني في صحيح أبي داود [٢١٦٦] صحيح.

❁ ❁ ❁

= ﴿فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر] حث على المفارقة بالوجوه كلها.

والمهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته. والمهاجرة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ [البقرة: ٢١٨] و﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ وغيرهما من الآيات فالظاهر منه أن المراد الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان، كمن هاجر من مكة إلى المدينة، وقيل مقتضى ذلك ترك الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا.

وقوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦] أي تارك لقومي وذاهب إليه. وكذا المجاهدة تقتضي مع مجاهدة العدى مجاهدة النفس.

الهجر: الكلام المهجور لقبحه. وفي الحديث: «فلا تقولوا هجراً»[1] وأهجر فلان: إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد. وهجر المريض: إذا أتى بذلك من غير قصد، قال تعالى: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون] وقرئ: تُهْجِرون. وقد يشبه المبالغ في الهجر بالمهجر فيقال: أهجر إذا قصد ذلك. ورماه بهاجرات ومهجرات أي بفضائح.

بصائر ذوي التمييز: [٥/ ٣٠٤، ٣٠٥].

(١) جزء من حديث رواه النسائي في الكبرى [٢١٦٠] عن بريدة رضي الله تعالى عنه، وأحمد في المسند [٣/ ٦٣، ٦٦] ومالك في الموطأ [٢/ ٣٨٦] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. وقال الأرناؤوط في المسند [١١٦٠٦]: حديث صحيح، وإسناد أحمد ضعيف.

فضل الهجرة والترغيب فيها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

«التوفي» معناه «القبض»؛ فيقال: «توفيت ديني» أي قبضته مستوفياً. ويقال: «توفى الله الإنسان» أي قبضه إليه مستوفياً.

والقبض له آمر أعلى، وهو الله الخالق سبحانه.

ومن بعد ذلك يوجد ملك مُكَلَّف يقبض أرواح العباد هو «ملك الموت»، كما أن هناك معاونين لملك الموت من الملائكة.

فالوفاة إذن تنسب مرة لله تعالى، فالله سبحانه هو المُتَوَفِّي: لأنه الآمر الأعلى، وتنسب الوفاة مرة للملائكة كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١].

وتنسب أخرى إلى ملك الموت كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وإذا ما ذكر القرآن الكريم هذه الأساليب الثلاثة في وصف عملية الوفاة فهل يعد هذا اختلاف وتناقض وتضارب في أساليب القرآن؟ بالطبع لا، بل هو إيضاح لمراحل الولاية التي صنعها الله، فهو الآمر الأعلى يصدر الأمر إلى ملك الموت، وملك الموت إمَّا أن ينفذ بنفسه، أو يصدر الأمر لجنوده من الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ الظلم هو أن تأخذ من صاحب الحق وتعطي غير ذي الحق، والظلم يقتضي ظالماً ومظلوماً وأمراً وقع الظلم فيه. فكيف يكون الإنسان ظالماً لنفسه وتتوفاه الملائكة على ذلك؟ لا بد أنه فعل ما يستوجب ذلك. فالإنسان بعد أن آمن بالله تعالى ورسوله، واتبع ما جاء به الرسول، قد تحدثه نفسه بالمخالفة، هنا يواجه صراعاً بين أمرين: مسؤولية النفس الإيمانية التي تقبل بها المنهج من الله، ووازع تلك النفس التي تلحّ عليه بالانحراف. ويدور ما هو أشبه بالحوار بين النفس الإيمانية ووازع النفس الملح بالانحراف.

وعندما تتغلب النفس الإيمانية يعرف الإنسان أن نفسه صارت مطمئنة وسعيدة، ويقول لنفسه: إنني إن طاوعت وازع الانحراف أكون قد حققت شهوة عاجلة يعقبها خزي وندامة، وإن رفضت الشهوة أكون قد أنصفت نفسي.

والصراع بين النفس الإيمانية والنفس الشهوانية قد ورد في القرآن الكريم في قصة ابني آدم قابيل وهابيل، يقول ربنا تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

هنا يقول هابيل لقابيل: لماذا تقتلني؟ إنني لست أنا الذي تقبل القربان ولكن الذي تقبله هو الله تعالى فما ذنبي؟

ويقول له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة].

ولنتأمل قول ربنا العليم الحكيم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾.

كأن هناك صراعاً في نفس قابيل بين أمرين «اقتل» و«لا تقتل»، النفس الإيمانية تقول: «لا تقتل» والنفس الشهوانية تقول: «بل عليك أن تقتل».

وتغلبت النفس الشهوانية فطوعت له قتل أخيه، ومهدت له ذلك. وبعد أن قتل أخاه، وضاعت شرة الغضب صار من النادمين، ثم بدأت الحيثيات تظهر وتتضح. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ويحفر ليواري جثة غراب آخر. هنالك قال قابيل كما جاءت في القرآن الكريم: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ [المائدة: ٣١].

وهكذا نعلم أن ظلم النفس هو أن نخالف ما شرع الله لتلك النفس لينفعها نفعاً أبدياً مستوفياً، ولكن النفس قد تندفع وراء حبها للشهوات وتمنيها للنفع العاجل الذي لا خلود له، وبعد أن يحقق الإنسان هذا النفع العاجل لنفسه يشعر أنه ظلم نفسه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع أي: لماذا ظلمتم أنفسكم؟ ولماذا لم تفعلوا مثلما فعل إخوانكم وهاجرتم مع إخوانكم وانضممتم لمجتمع الإيمان؟ ولماذا ظللتم في أماكنكم محجوزين ومحاصرين ولا تستطيعون الحركة ولا تستطيعون الفكاك؟

وتكون إجابة الذين ظلموا أنفسهم: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: أنهم لم يكونوا قادرين على الخروج والهجرة ولا يعرفون السبيل إليها، وخافوا على أموالهم وديارهم، والقوم الذين استضعفوهم قالوا لهم: إن خرجتم لا تأخذوا شيئاً من أموالكم. هذه هي بعض مظاهر الاستضعاف. وهنا تقول الملائكة ما يفيد أن هذا الكلام لا يليق ولا ينفع، تقول الملائكة: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾.

وكأن هذا تنبيه آخر، وإعلان أن مثل هذا القول ومثل تلك الحجة لا قيمة لها؛ لأن الذي يمسكه مكانه وماله دون أمر الله إنما هو الذي ربط يقينه بالأسباب. أما الذي يضع منهج الله فوق مكانه وولده وكل شيء فهذا هو الذي وثق بالله لأنه هو المسبب وهو سبحانه مانح ومعطي الأسباب.

إن قوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ تعني أن الحق سبحانه خلق الخلق جميعاً وأسكنهم الأرض، وهذه الأرض ليست لأحد دون أحد، فمن يضيق به مكان فليذهب إلى مكان آخر.

وإذا كان الإنسان قد اضطرته ظروف صنعتها أوضاع غير طبيعية فلا ينتقل إنسان من مكان إلى مكان إلا بعد سلسلة طويلة من التعقيدات فذلك مناقضة لقضية الخلافة في الأرض؛ لأن الخلافة لم توزع جماعة ما على أرض ما. فالإنسان، كل إنسان خليفة في الأرض كل الأرض، مصداقاً لقول الحق سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن].

فقد جعل الله الأرض متضعة مسخرة مذللة للإنسان، والأرض هي كل الأرض، والأنام هم كل الأنام. وإن لم ينتبه العالم إلى هذه القضية ويجعلها قضية كونية اجتماعية، سيظل ذلك العالم في شقاء. فالذي يجعل الحياة في الأرض فاسدة هو أن هناك أرضاً تحتاج إلى أناس، وأناس في بلاد يحتاجون إلى الأرض.

ومن الواجب أن تسيح المسألة فتأخذ الأرض التي بلا رجال ما تحتاجه من الرجال من البلاد التي لا أرض فيها. وهذا الضجيج الذي يعكر صفو الحياة سببه أنه يوجد في كون الله أرض بلا رجال ورجال بلا أرض، فإذا ما ضاق مكان بإنسان فله أن يذهب إلى مكان آخر، ولو كان الأمر كذلك لسعدت البشرية، ومن ينقض هذه القضية فعليه أن يعرف أنه يأخذ الخلافة في الأرض بغير شروطها، فالذي يفسد الأمر في الأرض أن الإنسان الخليفة في الأرض نسي أنه خليفة

واعتبر نفسه أصيلاً في الكون. وما دام قد اعتبر نفسه أصيلاً في الكون فهذا هو الإفساد.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] تعني أن الإنسان إذا أقام على ضيم ولم يعمل فكره وعقله ولم يطرح قضية الكون أمامه ليرى الأرض التي تسعه فيهاجر فيها فعليه أن يعرف أنه مهدد بسوء المصير؛ لأن الله قد جعل له الكون كله ليكون فيه خليفة.

أما الذين سوف ينجون من هذا العقاب ومن تعنيف الملائكة لهم ساعة الوفاة فهم من يقول عنهم الحق سبحانه: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء].

وعلينا أن نعرف أن هناك فرقاً بين «مستضعف دعوى، ومستضعف حقيقي»، فهناك مستضعف قد قبل استضعاف غيره له، وجعل من نفسه ضعيفاً. هذا هو «مستضعف دعوى».

أما «المستضعف الحقيقي» فهو من هؤلاء الذين يذكرهم الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ هؤلاء هم المستضعفون فعلاً حسب طبيعة عجزهم من الرجال والنساء والولدان.

وهل الرجل يكون مستضعفاً؟ نعم؛ لأن الاستضعاف إما أن يكون طارئاً وإما أن يكون ذاتياً؛ فبعض من الرجال يكون مملوكاً لغيره ولا يقدر على التصرف أو الذهاب وكذلك النساء؛ فالمرأة لا تستطيع أن تمشي وحدها وتحمي نفسها، بل لا بد أن يوجد معها من يحميها كزوج أو محرم لها، وكذلك الولدان؛ لأنهم بطبيعتهم غير مكلفين وهم بذلك يخرجون عن نطاق التعنيف من الملائكة؛ لأنهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

فالإنسان مكلف بالخروج عن ظلم غيره له ولو بالاحتيال، والاحتيال هو إعمال الفكر إعمالاً يعطي للإنسان فرصة أكثر ممّا هو متاح له بالفعل. فقد تكون القوة ضعيفة. ولكن بالاحتيال قد يوسع الإنسان من فرص تلك القوة.

فمثلاً الذي قام ببناء أهرامات مصر، كيف وضع الحجر الأخير على القمة؟ لقد فعل ذلك بالحيلة، والذي جلس لينحت مسلة من الجرانيت طولها يزيد على العشرة أمتار، ثم نقلها وأقامها. إنه فعل ذلك بالحيلة.

فالحيلة هي إذن: فكر يعطي للإنسان قدرة فوق قدرته على المقدور عليه.

كذلك معرفة السبيل إلى الهجرة، وكانت معرفة الطريق إلى الهجرة من مكة إلى المدينة في زمن رسول الله تحتاج إلى خبرة حتى يتجنب الواحد منهم المفازات والمتاهات، وحينما قام الرسول بالهجرة أحضر دليلاً للطريق، وكان دليله كافراً، فلا يتأتى السير في مثل هذه الأرض بلا دليل.

ولنتأمل قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء].

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى من جاء ذكرهم في الآية السابقة لهذه الآية:

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [النساء].

ومع ذلك فإن الله حين أشار إلى هؤلاء المستضعفين بحق قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ وكان مقتضى الكلام أن يقول الحق: «فأولئك عفا الله عنهم»، لكن الحق جاء بـ ﴿ عَسَى ﴾ ليحثهم على رجاء أن يعفو الله عنهم، والرجاء من الممكن أن يحدث أو لا يحدث. ونعرف أن ﴿ عَسَى ﴾ للرجاء، وأنها تستخدم حين يأتي بعدها أمر محبوب نحب أن يقع.

فقد ترجو شيئاً من غيرك وتقول: عساك أن تفعل كذا. وقد يقول الإنسان: عساي أن أفعل كذا، وهنا يكون القائل هو الذي يملك الفعل وهذا أقوى قليلاً، ولكن الإنسان قد تخونه قوته؛ لذلك فعليه أن يقول: عسى الله أن يفعل كذا، وفي هذا اعتماد على مطلق القوة. وإذا كان الله هو الذي يقول: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ فهذا إطماع من كريم قادر[1].

---

(١) عسا: عسا الشيخ يعسو عسواً وعسواً وعسياً مثل عتياً وعساء وعسوة وعسى عسي، كله: كبير مثل عتي. ويقال للشيخ إذا ولى وكبر: عتا يعتو عتياً، وعسا يعسو مثله، ورأيت في حاشية أصل التهذيب للأزهري الذي نقلت منه حديثاً متصل السند إلى ابن عباس قال: قد علمت السنة كلها غير أني لا أدري أكان رسول الله ﷺ، يقرأ من الكبر عتياً أو عسياً فما أدري أهذا من أصل الكتاب أم سطره بعض الأفاضل. وفي حديث قتادة بن النعمان: لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسا أو عشا؛ عسا، بالسين المهملة، أي كبر وأسن من عسا القضيب إذا يبس، وبالمعجمة أي قل بصره وضعف. وعست يده تعسو عسواً: =

وبعد أن يذكر سبحانه ما يحدث لكل من مات وتوفته الملائكة ظالماً نفسه

= غلظت من عمل؛ قال ابن سيده: وهذا هو الصواب في مصدر عسا. وعسا النبات عسواً: غلظ واشتد؛ وفيه لغة أخرى عسى يعسى عسْي؛ وأنشد:

يهوُون عن أركان عز أدرما ... عن صامل عاس، إذا ما اصلخما

قال: والعساء مصدر عسا العود يعسو عساءة، والقساء مصدر قسا القلب يقسو قساءة. وعسا الليل: اشتدت ظلمته؛ قال:

وأظعن الليل إذا الليل عسا

والغبن أعرق. والعاسي مثل العاتي: وهو الجافي. والعاسي: الشمراخ من شماريخ العذق في لغة بلحرث بن كعب. الجوهري: وعسا الشيء يعسو عسواً وعساءة، ممدود، أي يبس واشتد وصلب. والعسا، مقصوراً: البلح والعسو: الشمع في بعض اللغات.

وعسى: طمع وإشفاق، وهو من الأفعال غير المتصرفة؛ وقال الأزهري: عسى حرف من حروف المقاربة، وفيه ترج وطمع؛ قال الجوهري: لا يتصرف لأنه وقع بلفظ الماضي لما جاء في الحال، تقول: عسى زيد أن يخرج، وعست فلانة أن تخرج، فزيد فاعل عسى وأن يخرج مفعولها، وهو بمعنى الخروج إلا أن خبره لا يكون اسماً، لا يقال: عسى زيد منطلقاً. قال ابن سيده: عسيت أن أفعل كذا وعسيت قاربت، والأولى أعلى، قال سيبويه: لا يقال عسيت الفعل ولا عسيت للفعل، قال: اعلم أنهم لا يستعملون عسى فعلك، استغنوا بأن تفعل عن ذلك كما استغنى أكثر العرب بعسى عن أن يقولوا عسياً وعسوا، وبلو أنه ذاهب عن لو ذهابه، ومع هذا فإنهم لم يستعملوا المصدر في هذا الباب كما لم يستعملوا الاسم الذي في موضعه يفعل في عسى وكاد، يعني أنهم لا يقولون عسى فاعلاً ولا كاد فاعلاً فترك هذ من كلامهم للاستغناء بالشيء عن الشيء؛ وقال سيبويه: عسى أن تفعل كقولك دنا أن تفعل، وقالوا: عسى الغوير أبؤساً أي: كان الغوير أبؤساً، حكاه سيبويه؛ قال الجوهري: أما قولهم عسى الغوير أبؤساً فشاذ نادر، وضع أبؤساً موضع الخبر، وقد يأتي في الأمثال ما لا يأتي في غيرها، وربما شبهوا عسى بكاد واستعملوا الفعل بعده بغير أن فقالوا عسى زيد ينطلق؛ قال سماعة بن أسول النعامي:

عسى الله يغني، عن بلاد ابن قادر، ... بمسنهمر جون الرباب سكوب

هكذا أنشده الجوهري؛ قال ابن بري: وصواب إنشاده:

عن بلاد ابن قارب

وقال: كذا أنشده سيبويه؛ وبعده:

هجف تحف الريح فوق سباله، ... له من لويات العكوم نصيب

وحكى الأزهري عن الليث: عسى تجري مجرى لعل، تقول: عسيت وعسيتما وعسيتم وعست المرأة وعسنا وعسين؛ يتكلم بها على فعل ماض وأميت ما سواه من وجوه فعله، لا يقال يعسى ولا مفعول له ولا فاعل. وعسى، في القرآن من الله جل ثناؤه، واجب وهو من العباد ظن، كقوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ المائدة: ٥٢، وقد أتى الله به؛ =

بأن ظل في أرض لا يمكنه فيها إعلاء دينه ومكث فيها، وكان من الممكن أن يهاجر إلى أرض تعلوها أحكام الإسلام وفيها إخوانه من المؤمنين؛ ومع ذلك الذي ينوي في نفسه شيئاً يريد أن يحقق به قضية إيمانية فهو معان عليها لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

فالذي يهاجر في سبيل الله تعالى سيجد السعة إن كانت هجرته خالصة لله تعالى ولرسوله ﷺ وفي البداية هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة؛ لأنهم لم يكونوا آمنين في مكة على دينهم.

= قال الجوهري: إلا في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ إِن يَرْحَمَكُمْ﴾؛ قال أبو عبيدة: عسى من الله إيجاب فجاءت على إحدى اللغتين لأن عسى في كلامهم رجاء ويقين؛ قال ابن سيده: وقيل: عسى كلمة تكون للشك واليقين؛ قال الأزهري: وقد قال ابن مقبل فجعله يقيناً أنشده أبو عبيد:

ظني بهم كعسى، وهم يتنوفة، يتنازعون جوائز الأمثال

أي ظني بهم يقين. قال ابن بري: هذا قول أبي عبيدة، وأما الأصمعي فقال: ظني بهم كعسى أي ليس بثبت كعسى، يريد أن الظن هنا وإن كان بمعنى اليقين فهو كعسى في كونها بمعنى الطمع والرجاء، وجوائز الأمثال ما جاز من الشعر وسار. وهو عسى أن يفعل كذا وعسٍ أي خليق، قال ابن الأعرابي: ولا يقال عسي. وما أعساه وأعس به وأعس بأن يفعل ذلك: كقولك أحرِ به، وعلى هذا وجه الفارسي قراءة نافع: فهل عسيتم، بكسر السين، قال: لأنهم قد قالوا هو عسٍ بذلك وما أعساه وأعس به، فقوله عسى يقوي عسيتم، ألا ترى أن عسٍ كحرٍ وشجٍ؟ وقد جاء فَعَل وفَعِل في نحو ورى الزند وورِي، فكذلك عسيتم وعسيتم، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم أن يقول فيه عسى زيد مثل رضي زيد، وإن لم يقله فسائغ له أن يأخذ باللغتين فيستعمل إحداهما في موضع دون الأخرى كما فعل ذلك في غيرها. وقال الأزهري: قال النحويون: يقال عسى ولا يقال عَسِي. وقال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [محمد: ٢٢]؛ اتفق القراء أجمعون على فتح السين من قوله عسيتم إلا ما جاء عن نافع أنه كان يقرأ فهل عسيتم، بكسر السين، وكان يقرأ: «عسى ربكم أن يهلك عدوكم» فدل موافقته القراء على عسى على أن الصواب في قوله عسيتم فتح السين. قال الجوهري: ويقال عسيت أن أفعل ذلك وعسيت، بالفتح والكسر، وقرئ بهما فهل عسيتم وعسيتم. وحكى اللحياني عن الكسائي: بالعسى أن يفعل، قال: ولم أسمعهم يصرفونها مصرف أخواتها، يعني بأخواتها حرى وبالحرى وما شاكلها.

لسان العرب [١٥/ ٥٤: ٥٦].

وقد يقول قائل: ولماذا لم يختر النبي أن يهاجر المهاجرون الأوائل إلى قبيلة عربية في الجنوب أو في الشمال؟

نقول: لقد كانت لقريش السيادة على كل الجزيرة العربية بقبائلها، فكل القبائل تحج إلى بيت الله تعالى، وكانت لقريش السيادة على المكان الواقع فيه البيت ولم تكن هناك أي قبيلة عربية قادرة على أن تقف أمام هوى قريش. ولذلك أمر رسول الله ﷺ المسلمين الأوائل بالهجرة إلى الحبشة، والعلّة في الذهاب إلى الحبشة أن هناك ملكاً لا يظلم عنده أحد. وكان العدل في ذاته وساماً لذلك الملك وسماها المؤمنون دار أمن، وإن لم تكن دار إيمان. وأما الهجرة إلى المدينة فقد كانت إلى دار إيمان.

ويقول الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: عجبت للقوم يسعون فيما ضمن لهم ويتركون ما طلب منهم. فكل سعي الناس إنما هو للرزق والعيش وهو أمر مضمون لهم من خالقهم جل وعلا.

ولن يجد المهاجر إلا السعة من الله. والشاعر يقول:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وساعة تقرأ كلمة ﴿مُرَٰغَمًا﴾ تعرف أنها تفتح المجال أمام المستضعفين الذين يستذلهم الجبارون. ومادة «مراغم» هي «الراء والغين والميم» والأصل فيها «الرغام» أي «التراب». ويقال: سوف أفعل كذا وأنف فلان راغم، أي أنف فلان يذهب إلى التراب وسأفعل ما أنا مصمم عليه. وما دام هناك إنسان سيفعل شيئاً برغم أنف إنسان آخر، فمعناه أن الثاني كان يريد أن يستذله وأراد أن يرغمه على شيء، لكنه رفض وفعل ما يريد[1].

---

(١) رغم: الرُّغم والرِّغم والرُّغم: الكره، والمرغمة مثله، قال النبي ﷺ بعثت مَرْغَمَة؛ المرْغمة: الرُّغم أي بعثت هواناً وذلاً للمشركين، وقد رغمه ورغَمه يرغم، ورغِمت السائمة المرعى ترغمه وأنفته تأنفه: كرهته؛ قال أبو ذؤيب:

وكن بالروض لا يرغمن واحدة
من عيشهن، ولا يدري كيف غد

ويقال: ما أرغمُ من ذلك شيئاً أي ما أنقمه وما أكرهه. والرُّغم: الذلة. ابن الأعرابي: الرُّغم التراب، والرُّغم الذل، والرُّغم الفسر؛ قال: وفي الحديث: وإن رَغم أنفه أي ذل؛ رواه بفتح الغين؛ وقال ابن شميل: على رَغْم من رَغَم، بالفتح أيضاً. وفي حديث معقل بن يسار: رغم أنفي لأمر الله أي ذل وانقاد. ورغم أنفي لله رَغْما ورَغِم يرغَم =

وعندما يرى الإنسان إنساناً جباراً يشمخ بأنفه ويتكبّر، فهو يحاول أن يعانده

= ويرغَم ورَغِم؛ الأخيرة عن الهجري، كلُّه: ذل عن كره، وأرغمه الذل. وفي الحديث: إذا صلى أحدكم فليلزم جبهته أنفه الأرض حتى يخرج منه الرُّغْم؛ معناه حتى يخضع ويذل ويخرج منه كبر الشيطان، وتقول: فعلت ذلك على الرُّغْم من أنفه. ورغَم فلان، بالفتح، إذا لم يقدر على الانتصاف، وهو يَرغَم رَغَماً، وبهذا المعنى رغم أنفه.

والمرغَم والمرغِم الأنف، وهو المرسن والمخطم والمعطس.

قال الفرزدق يهجو جريراً:

تبكي المراغة بالرغام على ابنها، والشاهقات يهجن بالإعوال

وفي الحديث: أنه عليه السلام، قال: «رَغِم أنفه ثلاثاً» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه أو أحدهما حياً ولم يدخل الجنة»(١). يقال: أرغم الله أنفه أي ألزقه بالرغام، وهو التراب؛ هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره.

وفي الحديث: وإن رغم أنف أبي الدرداء(٢) أي وإن ذل.

وقيل: وإن كره.

وفي حديث سجدتي السهو: كانتا ترغيماً للشيطان(٣).

وفي حديث أسماء: إن أمي قدمت عليّ راغمة مشركة أفأصلها؟

قال: «نعم»(٤).

لما كان العاجز الذليل لا يخلو من غضب، قالوا: ترغم إذا غضب وراغمة أي غاضبة، =

(١) أخرجه مسلم [٩/٢٥٥١] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من يا رسول الله؟: «قال من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة».

(٢) عن وهب بن عبد الله أن أبا الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دخل الجنة» قال: قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى أو سرق؟ قال: «وإن زنى أو سرق» قلت: وإن زنى أو سرق؟ قال: «وإن زنى أو سرق على رغم أنف أبي الدرداء» قال: فخرجت لأنادي بها في الناس، قال: فلقيني عمر، فقال ارجع، فإن الناس إن علموا بهذه اتكلوا عليها، فرجعت فأخبرته ﷺ، فقال ﷺ: «صدق عمر». [رواه أحمد في المسند [٦/٤٤٢]، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [١/٢١] وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وإسناد أحمد أصح، وفيه ابن لهيعة وقد احتج به غير واحد.

(٣) أخرجه ابن ماجه [١٢١٠] عن أبي سعيد الخدري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شك أحدكم في صلاته فليلغ الشك وليبن على اليقين. فإذا استيقن التمام سجد سجدتين. فإن كانت صلاته تامة كانت الركعة نافلة. وإن كانت نافصة، كانت الركعة لتمام صلاته، وكانت السجدتان رغم أنف الشيطان». وقال الألباني في صحيح ابن ماجه [٩٩٦]: حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود [١٦٦٨]، وصححه الألباني في صحيح أبي داود [١٤٦٧].

ويصنع غير ما يريد ويجعل مكانة هذا الأنف في التراب، ويقال في المثل الشعبي المصري: أريد أن أكسر أنف فلان.

إذن قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ أي أنه سبحانه يعطي المهاجر أشياء تجعل من كان يستضعفه ويستذله يشعر بالخزي إلى درجة أن تكون أنفه في الرغام.

والمستضعف في أرض ما يجد من يضيق عليه حركته، لكنه عندما يهاجر في سبيل الله سيجد سعة ورزقاً.

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠] ولا أحد يعرف ميعاد الموت. فإن هاجر إنسان في سبيل الله فقد لا يصل إلى المراغم؛ لأن الموت قد يأتيه، وهنا يقع أجره على الله. فإذا كان سبحانه قد وعد المهاجر في سبيله بالمكان الذي يرغم أنف خصمه وذلك سبب، ومن مات قبل أن يصل إلى ذلك السبب فهو قد ذهب إلى رب السبب، ومن المؤكد أن الذهاب إلى رب السبب أكثر عطاءً. وهكذا نجد أن المهاجر رابح حياً أو ميتاً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: سقط أجره على الله. كأن الحق سبحانه وتعالى يقول للعبد: أنت عندما تهاجر إلى أرض الله الواسعة، إن أدركك الموت قبل أن تصل إلى السعة والمراغم، فأنت تذهب إلى رحابي. والمراغم سبب من أسبابي وأنا المسبب.

= تريد أنها قدمت على غضبي لإسلامي وهجرتي متسخطة لأمري أو كارهة مجيئها إلى لولا مسيس الحاجة، وقيل: هاربة من قومها من قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٠٠]؛ أي مهرباً ومتسعاً؛ ومنه الحديث: «إن السقط ليراغم ربه إن أدخل أبويه النار»[1] أي يغاضبه. وفي حديث الشاة المسمومة: فلما أرغم رسول الله ﷺ، أرغم بشر بن البراء ما في فيه أي ألقى اللقمة من فيه في التراب. ورغم فلان أنفه: خضع وأرغمه: حمله على ما لا يقدر أن يمتنع منه.

لسان العرب [١٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦].

---

(١) أخرجه ابن ماجه [١٦٠٨] عن أسماء بنت عايس بن ربيعة، عن أبيها، عن علي؛ قال: قال رسول الله ﷺ «إن السقط ليراغم ربه إذا أدخل أبويه النار فيقال: أيها السقط المراغم ربه! أدخل أبويك الجنة. فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة». قال أبو علي: يراغم به، يغاضب. في الزوائد: إسناده ضعيف، لاتفاقهم على ضعف مندل بن علي، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه [٣٥٣].

وحتى نفهم معنى: ﴿وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ علينا أن نقرأ قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢].

الوقوع هنا هو السقوط، ولكنه ليس كالسقوط الذي نعرفه، بل هو الذهاب إلى الله. ولماذا يستخدم الحق هنا ﴿وَقَعَ﴾ بمعنى «سقط»؟

إنه سبحانه يلفتنا إلى ملحظ هام: حيث يكون الجزاء أحرص على العبد من حرص العبد عليه، فإذا ما أدرك العبد الموت فالجزاء يسعى إليه وهو في مكانه عند الله، ونعلم من هذا أن الجزاء يعرف صاحبه جيداً ويعرف مكانه فيذهب إليه أين كان.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ حتى لمن توانى قليلاً، وذلك حتى يلحق بالركب الإيماني ويتدارك ما فاته؛ لأن الله يغفر ما فات إن حاول العبد تداركه.

❁❁❁

فضل السابقين
الأولين من المهاجرين والأنصار

يقول تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

و«السابق» هو الذي حصل منه الفعل ـ بصدد ما هو فيه ـ قبل غيره، وكلنا والحمد لله مؤمنون، من آمنوا أولاً، ومن آمنوا بعد ذلك الكل مؤمنون، لكن هناك أناس سبقوا إلى الإيمان، فهل كان سبقهم سبق زمان أم سبق اتباع؟ إن سبق الزمان يتحدّد في الذين عاصروا رسول الله ﷺ، فإن ظن ظان أن المقصود بالسابقين هم الذين سبقونا سبق زمان، فقد يقول منا قائل: وما ذنبنا نحن وقد جئنا بعد زمانهم؟

ولذلك نقول: إنما السبق يعتبر من معاصر، أي: كان معهم أناس غيرهم وهم سبقوهم؛ ولذلك جاء القول: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ﴾ وأيضاً لم يكن كل الأنصار من أهل المدينة هم من السابقين.

وينحصر المعنى في الذين سبقوا إلى الإيمان في مكة، وسبقوا إلى النصرة في المدينة، هؤلاء هم ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾[1].

---

(١) قال القرطبي: فيه سبع مسائل:

الأولى: لما ذكر جل وعز الأعراب ذكر المهاجرين والأنصار، وبين أن منهم السابقين إلى الهجرة وأن منهم التابعين، وأثنى عليهم.

وقد اختلف في عدد طبقاتهم وأصنافهم. ونحن نذكر من ذلك طرفاً نبين الغرض فيه إن شاء الله تعالى. وروى عمر بن الخطّاب أنه قرأ «والأنصار» رفعاً عطفاً على السابقين.

قال الأخفش: الخفض في الأنصار الوجه؛ لأن السابقين منهما. والأنصار اسم إسلامي.

قيل لأنس بن مالك: أرأيت قول الناس لكم: الأنصار، اسم سماكم الله به أم كنتم تُدعَوْن به في الجاهلية؟ قال: بل اسم سمانا الله به في القرآن؛ ذكره أبو عمر في الاستذكار. =

وفي سورة الواقعة يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة].

= **الثانية**: نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم الذين صلوا إلى القبلتين؛ في قول سعيد بن المسيب وطائفة. وفي قول أصحاب الشافعي هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، وهي بيعة الحديبية؛ قاله الشعبي. وعن محمد بن كعب وعطاء بن يسار: هم أهل بدر. واتفقوا على أن من هاجر قبل تحويل القبلة فهو من المهاجرين الأولين من غير خلاف بينهم. وأما أفضلهم وهي:

الثالثة: فقال أبو منصور البغدادي التميمي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

الرابعة: وأما أولهم إسلاماً فروى مجالد عن الشعبي قال: سألت ابن عباس من أول الناس إسلاماً؟ قال أبو بكر، أوما سمعت قول حسان:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

وذكر أبو الفرج بن الوزير عن يوسف بن يعقوب بن الماجشون أنه قال: أدركت أبي وشيخنا محمد بن المنكدر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وصالح بن كيسان وسعد بن إبراهيم وعثمان بن محمد الأخنسي وهم لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر؛ وهو قول ابن عباس وحسان وأسماء بنت أبي بكر، وبه قال إبراهيم النخعي. وقيل: أول من أسلم عليٌّ؛ روى ذلك عن زيد بن أرقم وأبي ذر والمقداد وغيرهم.

قال الحاكم أبو عبد الله: لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علياً أولهم إسلاماً.

وقيل: أول من أسلم زيد بن حارثة. وذكر معمر نحو ذلك عن الزهري. وهو قول سليمان بن يسار وعروة ابن الزبير وعمران بن أبي أنس. وقيل: أول من أسلم خديجة أم المؤمنين؛ روى ذلك من وجوه عن الزهري، وهو قول قتادة ومحمد بن إسحاق بن يسار وجماعة، وروى أيضاً عن ابن عباس. وادعى الثعلبي المفسر اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو فيمن أسلم بعدها. وكان إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي يجمع بين هذه الأخبار، فكان يقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان عليّ، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال. والله أعلم.

وذكر محمد بن سعد قال: أخبرني مصعب بن ثابت قال: حدثني أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال: كان إسلام الزبير بعد أبي بكر وكان رابعاً أو خامساً. قال الليث بن سعد: وحدثني أبو الأسود قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين. وروى أن علياً ابن سبع سنين. وقيل: ابن عشر. =

ثم يأتي من بعدهم في المرتبة: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ [الواقعة].

= الخامسة: والمعروف عن طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من أصحابه. قال البخاري في صحيحه: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. وروى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين. وهذا القول إن صح عن سعيد بن المسيب يوجب ألا يعد من الصحابة جرير ابن عبد الله البجلي أو من شاركه في فقد ظاهر ما اشترطه فيهم ممن لا نعرف خلافاً في عدّه من الصحابة.

السادسة: لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق.

وقال ابن العربي: السبق يكون بثلاثة أشياء: الصفة وهو الإيمان، والزمان، والمكان. وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات؛ والدليل عليه قوله ﷺ في الصحيح: «نحن الآخرون الأولون بيد أنهم أوتُوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد»[1]. فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه، والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه، لا نعترض عليه ولا نختار معه، ولا نبدل بالرأي شريعته كما فعل أهل الكتاب؛ وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه؛ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

السابعة: قال ابن خويز منداد: تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة، في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك، من العطاء في المال والرتبة في الإكرام. وفي هذه المسألة خلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. واختلف العلماء في تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم؛ فروى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه كان لا يفضل بين الناس في العطاء بعضهم على بعض بحسب السابقة. وكان عمر يقول له: أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له؟ فقال أبو بكر: إنما عملوا لله وأجرهم عليه. وكان عمر يفضل في خلافته؛ ثم قال عند وفاته: لئن عشت إلى غد لألحقن أسفل الناس بأعلاهم؛ فمات من ليلته. والخلافة إلى يومنا هذا على هذا الخلاف.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ فيه مسألتان:

الأولى: قرأ عمر «والأنصار» رفعاً. «الذين» بإسقاط الواو نعتاً للأنصار؛ فراجعه زيد بن ثابت، فسأل عمر أبي بن كعب فصدق زيداً؛ فرجع إليه عمر وقال: ما كنا نرى إلا أنا رفعنا رفعة لا ينالها معنا أحد. فقال أبي: إني أجد مصداق ذلك في كتاب الله في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ وفي سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ =

(١) أخرج البخاري [٨٩٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة؛ أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله، فغداً لليهود وبعد غدٍ للنصارى».

ثم يحدد الحق سبحانه وتعالى هؤلاء فيقول: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة].

= بِقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وفي سورة الأنفال بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ فثبت القراءة بالواو. وبين تعالى بقوله: «بإحسان» ما يتبعون فيه من أفعالهم وأقوالهم، لا فيما صدر عنهم من الهفوات والزلات؛ إذ لم يكونوا معصومين رضي الله عنهم.

الثانية: واختلف العلماء في التابعين ومراتبهم؛ فقال الخطيب الحافظ: التابعي من صحب الصحابي؛ ويقال للواحد منهم: تابع وتابعي. وكلام الحاكم أبي عبد الله وغيره مشعر بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه وإن لم توجد الصحبة العرفية. وقد قيل: إن اسم التابعين ينطلق على من أسلم بعد الحديبية؛ كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومن داناهم من مسلمة الفتح؛ لما ثبت أن عبد الرحمن بن عوف شكا إلى النبي ﷺ خالد بن الوليد، فقال النبي ﷺ لخالد: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١).

ومن العجب عدُّ الحاكم أبو عبد الله النعمان وسويد ابني مقرّن المزني في التابعين عندما ذكر الإخوة من التابعين وهما صحابيان معروفان مذكوران في الصحابة، وقد شهدا الخندق كما تقدم. والله أعلم.

وأكبر التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وهم سعيد بن المسيب، والقاسم ابن محمد؛ وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار. وقد نظمهم بعض الأجلة في بيت واحد فقال:

فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وقال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب؛ فقيل له: فعلقمة والأسود. فقال: سعيد بن المسيب وعلقمة والأسود. وعنه أيضاً أنه قال: أفضل التابعي قيس وأبو عثمان وعلقمة ومسروق؛ هؤلاء كانوا فاضلين ومن علية التابعين.

وقال أيضاً: كان عطاء مفتي مكة والحسن مفتي البصرة، فهذان أكثر الناس عنهم؛ وأبهم.

وروي عن أبي بكر بن أبي داود قال: سيدنا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن، وثالثتهما ـ وليست كهما ـ أم الدرداء.

وروي عن الحاكم أبي عبد الله قال: طبقة تعد في التابعين ولم يصح سماع أحد منهم من الصحابة؛ منهم إبراهيم بن سويد النخعي وليس بإبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه. وبكير بن أبي السميط، وبكير بن عبد الله الأشج. وذكر غيرهم قال: وطبقة عداداهم عند =

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه [٢٥٤١] عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبّه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

ولذلك حينما يأتي من يقول: لن يستطيع واحد من أمة محمد ﷺ تأخر عن عصر محمد ﷺ أن يصل إلى منزلة الصحابة؛ لأن الله قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾، نقول له: لا، بل افطن إلى بقية قوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة]، وهذا دليل على أن بعضاً من الذين جاءوا بعد زمان رسول الله ﷺ سينالون مرتبة رفيعة(١).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «وددت أنا قد رأينا إخواننا». فقال

= الناس في أتباع التابعين، وقد لقوا الصحابة منهم أبو الزناد عبد الله بن ذكوان، لقي عبد الله بن عمر وأنساً. وهشام بن عروة، وقد أدخل على عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله وموسى بن عقبة، وقد أدرك أنس بن مالك وأم خالد بنت خالد بن سعيد. وفي التابعين طبقة تسمى بالمخضرمين، وهم الذين أدركوا الجاهلية وحياة رسول الله ﷺ وأسلموا ولا صحبة لهم. واحدهم مخضرم «بفتح الراء» كأنه خضرم، أي قطع عن نظرائه الذين أدركوا الصحبة وغيرها.

وذكرهم مسلم فبلغ بهم عشرين نفساً، منهم أبو عمرو الشيباني، وسويد بن غفلة الكندي، وعمرو بن ميمون الأودي، وأبو عثمان النهدي وعبد خير بن يزيد الخيراني «بفتح الخاء»، بطن من همدان، وعبد الرحمن بن مل. وأبو الحلال العتكي ربيعة بن زرارة. وممن لم يذكره مسلم؛ منهم أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب، والأحنف بن قيس. فهذه نبذة من معرفة الصحابة والتابعين الذين نطق بفضلهم القرآن الكريم، رضوان الله عليهم أجمعين. وكفانا نحن قوله جل وعز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] على ما تقدم.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «وددت أنا لو رأينا إخواننا»(١). الحديث. فجعلنا إخوانه؛ إن اتقينا الله واقتفينا آثاره حشرنا الله في زمرته ولا حاد بنا عن طريقته وملته بحق محمد وآله.

تفسير القرطبي [٨/ ٢٣٥ ـ ٢٤٠].

(١) أخرج مسلم في صحيحه [٢٨٣٢/ ١٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

وأخرج أحمد في المسند [٣/ ١٥٥] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «طوبى لمن آمن بي ورآني مرة، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرار».

وقال الأرناؤوط في المسند [١٢٥٧٨]: حسن لغيره.

والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه [٧٢٣٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وحسنه الأرناؤوط.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه [٣٩/ ٢٤٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أصحاب النبي ﷺ: أولسنا إخوانك؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»[1].

ولكن من هم السابقون المقصودون في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ نعلم أن السابقين من المهاجرين هم أهل بدر، الذين دخلوا أول معركة في الإسلام، مع أنهم خرجوا من المدينة، لا ليشهدوا حرباً، ولكن ليعترضوا عيراً لقريش تحمل بضائع، ويرجعوا بالغنائم. ومع ذلك دخلوا الحرب، لا مع القوافل التي ضمت العير والحراس والرعاة، ولكن دخلوا الحرب مع النفير، وهم من جاءوا ونفروا من مكة، وهم صناديد قريش. وهكذا كانت منزلة أهل بدر، أنهم سبقوا إلى الجهاد في أول معركة للإسلام[2].

ولذلك حين حاول حاطب بن أبي بلتعة أن يخبر ناساً من المشركين من أهل مكة ببعض أمر رسول الله ﷺ أخبر الله نبيه ﷺ، فقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه ومن معه ائتوا إلى مكان اسمه «روضة خاخ» في الطريق بين مكة والمدينة، فستجدون فيه جارية معها كتاب إلى أهل مكة، خبأته في عقيصتها.

فلما ذهب علي ومن معه رضي الله تعالى عنهم يبحثون عن المرأة في الموضع الذي ذكره لهم رسول الله ﷺ، وجدوا المرأة ولكنها أنكرت أن معها كتاباً، فهددوها؛ فأخرجته من عقيصتها؛ فوجدوه من حاطب بن أبي بلتعة إلى

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٢٤٩/ ٣٩] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وإنا إن شاء الله، بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا».
قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟
قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد».
فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟
فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرٌ محجلة. بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله»؟
قالوا: بلى يا رسول الله.
قال: «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء. وأنا فرطهم على الحوض. ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال. أناديهم: ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً».

(٢) انظر كتاب غزوات الرسول ﷺ لفضيلة الشيخ الإمام ـ غزوة بدر ـ وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامي.

ناس من مشركي قريش. وعادوا به إلى النبي ﷺ، فأحضر النبي ﷺ حاطباً، وقال له: ما حملك على هذا يا حاطب؟

قال له: يا رسول الله: أنا لصيق بقريش ولي فيها أهل ومال، وليس لي بها عزوة؛ فأردت أن أتخذ يداً عند قريش يعرفونها لي؛ فيحافظوا على أهلي وعلى مالي، وعرفت أن ذلك لا يضرك شيئاً وأن الله ناصرك. وما فعلته ينفعني ولا يضرك.

قال: صدقت.

وأراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل عليه بسيفه، فقال النبي ﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

لأن أهل بدر دخلوا المعركة بدون عدة، وبدون استعداد، ومع ذلك هانت نفوسهم عليهم، فكأن الله قال: أنتم عملتم ما عليكم، وقد غفرت لكم كل ما تفعلونه من السيئات.

---

(١) اللصيق قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها.

والحديث أخرجه البخاري [٧٠٠٣] عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تعادي بنا خيلُنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه:

من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا»؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «قد صدقكم». فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وأخرجه مسلم [٤٩٤٢/ ١٦١].

و«روضة خاخ» مكان بين مكة والمدينة بالقرب من المدينة.

و«عقاصها» أي: شعرها المضفور جمع عقيصة.

إذن . فالسابقون من المهاجرين هم أهل بدر وأهل الحديبية، وهم أهل بيعة الرضوان الذين رُدوا مع رسول الله ﷺ عن العمرة، ثم عقد النبي ﷺ مع القرشيين المعاهدة.

والسابقون من الأنصار هم من جاءوا للنبي في مكة، وأعطوا له العزوة وأعطوا له الأمان والعهد، وكانوا اثني عشر في بيعة العقبة الأولى، وخمسة وسبعين في العقبة الثانية[1]. هؤلاء هم السابقون، وأضاف الحق إليهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي: من يأتي من بعدهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

الفئة الأولى في هذه الآية هم: المهاجرون وقال فيهم الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

والفئة الثانية: هم الأنصار الذين قال فيهم الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾.

ثم يوحد الله تعالى بين المهاجرين والأنصار فيقول عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

وبعض من العلماء فسر هذه الآية: على أنها تشمل الالتحام الكامل، لدرجة أنه كان يرث بعضهم بعضاً أولاً إلى أن نزلت آية الميراث وهي قول الله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] فألغت ذلك التوارث الذي كان بينهم.

وبعض العلماء قال: إن الولاية هي النصرة، وهي المودة، وهي التمجيد، وهي الإكبار، فقالوا: هذه صفات الولاية، قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقد عرفنا الكثير عن الإيثار من الأنصار الذي قد بلغ مرتبة لا يتسامى إليها البشر أبداً إلا بصدق الإيمان.

وعندما وصل المهاجرون إلى المدينة وتركوا نساءهم في مكة، كان

(١) انظر بيعة العقبة الأولى والثانية من كتابنا هذا.

الأنصاري يجيء للمهاجر ويقول له: انظر إلى نسائي والتي تعجبك منهن أطلقها لتتزوجها. هذه مسألة لا يمكن أن يصنعها إلا الإيمان الكامل، وحين يصنعها الإيمان، فهذا الإيمان يجدع أنف الغيرة ويمنعها أن تتحرك، ولا يكون هناك من له أكثر من زوجة ومن هو محروم من المرأة.

وقد حدّد الحق لنا ميزة كل طائفة من طوائف المؤمنين وبين أحكامهم: فالطائفة الأولى: المهاجرون الذين آمنوا وتركوا دينهم الذي ألفوه، ثم هاجروا وتركوا أوطانهم وبيوتهم وأموالهم وزوجاتهم وأولادهم ثم بعد ذلك عملوا لينفقوا على أنفسهم بمال يكتسبونه وينفقوا منه أيضاً على الجهاد في سبيل الله؛ مع أنهم تركوا أموالهم وكل ما يملكون في مكة، فكأنهم ضحوا بالمال وضحوا بالنفس. ودخلوا وهم قلة في معركة مع الكثرة المشركة، ولم يكونوا واثقين من النصر ولكنهم كانوا يطلبون الشهادة.

إذن.. فهم آمنوا، هذه واحدة، وهاجروا، وهذه الثانية، وجاهدوا بأموالهم هذه الثالثة، وجاهدوا بأنفسهم هذه الرابعة، وكانوا أسوة لأنهم سبقوا إلى الإيمان والجهاد فشجعوا غيرهم على أن يؤمنوا، ولذلك فلهم أجر من سن سنة حسنة، ولهم أجر من عمل بها، وهؤلاء هم السابقون الأولون ولهم منزلة عالية وعظيمة عند الله عز وجل[1].

والطائفة الثانية: الأنصار وهم الذين آووا هذه واحدة، ونصروا هذه الثانية، وأحبوا من هاجر إليهم، هذه الثالثة. وهؤلاء جمعهم الله في الولاية أي النصرة والمودة والتعظيم والإكبار.

❁ ❁ ❁

---

(١) عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها. ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعُمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء».

أخرجه مسلم [١٠١٧/١٥].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

أخرجه مسلم [٢٦٧٤/١٦].